

الشعبي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ يا محمد يعني حالاً بعد حال ، ثم قال ورواه جابر عن مجاهد عن ابن عباس ، وقال سعيد بن جبير ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ قال قوم كانوا في الدنيا خسيس أمرهم فارتفعوا في الآخرة ، وآخرون كانوا أشرفاً في الدنيا فانتضعوا في الآخرة . وقال عكرمة ﴿طبقاً عن طبق﴾ حالاً بعد حال فطيماً بعد ما كان رضيعاً ، وشيخاً بعد ما كان شاباً ، وقال الحسن البصري ﴿طبقاً عن طبق﴾ يقول حالاً بعد حال ، رخاء بعد شدة ، وشدة بعد رخاء ، وغنى بعد فقر ، وفقراً بعد غنى ، وصحة بعد سقم ، وسقماً بعد صحة .

وقال ابن أبي حاتم ذكر عن عبد الله بن زاهر حدثني أبي عن عمرو بن شمر عن جابر هو الجعفي عن محمد بن علي عن جابر بن عبد الله قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن ابن آدم لفي غفلة مما خلق له إن الله تعالى إذا أراد خلقه قال للملك اكتب رزقه اكتب أجله اكتب أثره . اكتب شقياً أو سعيداً . ثم يرتفع ذلك الملك ويبعث الله إليه ملكاً آخر فيحفظه حتى يدرك ، ثم يرتفع ذلك الملك ثم يوكل الله به ملكين يكتبان حسناته وسيئاته ، فإذا حضره الموت ارتفع ذاك الملكان وجاء ملك الموت فقبض روحه ، فإذا دخل قبره رد الروح في جسده ثم ارتفع ملك الموت وجاء ملكا القبر فامتحنانه ثم يرتفعان ، فإذا قامت الساعة انحط عليه ملك الحسنات وملك السيئات فانتشطا كتاباً معقوداً في عنقه ثم حضرا معه واحداً سائفاً وآخر شهيداً ، ثم قال الله تعالى ﴿لقد كنت في غفلة من هذا﴾ قال رسول الله ﷺ ﴿لتركين طبقاً عن طبق﴾ قال «حالاً بعد حال» ثم قال النبي ﷺ «إن قدامكم لأمرأ عظيماً لا تقدرونه فاستعينوا بالله العظيم» هذا حديث منكر وإسناده فيه ضعفاء ولكن معناه صحيح ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

ثم قال ابن جرير بعد ما حكى أقوال الناس في هذه الآية من القراء والمفسرين : والصواب من التأويل قول من قال لتركين أنت يا محمد حالاً بعد حال وأمرأ بعد أمر من الشدائد ، والمراد بذلك وإن كان الخطاب موجهاً إلى رسول الله ﷺ جميع الناس وأنهم يلقون من شدائد يوم القيامة وأحواله أهوالاً ، وقوله تعالى : ﴿فما لهم لا يؤمنون وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون﴾ أي فإذا آمنهم من الإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر وما لهم إذا قرئت عليهم آيات الله وكلامه وهو هذا القرآن لا يسجدون إعظاماً وإكراماً واحتراماً؟ وقوله تعالى : ﴿بل الذين كفروا يكذبون﴾ أي من سجيبتهم التكذيب والعناد والمخالفة للحق ﴿والله أعلم بما يوعون﴾ قال مجاهد وقتادة : يكتبون في صدورهم ﴿فبشرهم بعذاب أليم﴾ أي فأخبرهم يا محمد بأن الله عز وجل قد أعد لهم عذاباً أليماً .

وقوله تعالى : ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ هذا استثناء منقطع يعني لكن الذي آمنوا أي بقلوبهم وعملوا الصالحات أي بجوارحهم ﴿لهم أجر﴾ أي في الدار الآخرة ﴿غير ممنون﴾ قال ابن عباس غير منقوص ، وقال مجاهد والضحاك غير محسوب وحاصل قولها أنه غير مقطوع كما قال تعالى : ﴿عطاء غير مجدود﴾ وقال السدي قال بعضهم غير ممنون غير منقوص ، وقال بعضهم غير ممنون عليهم ، وهذا القول الأخير عن بعضهم قد أنكره غير واحد ، فإن الله عز وجل له المنة على أهل الجنة في كل حال وآن ولحظة ، وإنما دخلوها بفضلهم ورحمته لا بأعمالهم فله عليهم المنة دائماً سرمداً والحمد لله وحده أبداً ، ولهذا يلهمون تسبيحه وتحميده كما يلهمون النفس ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين . آخر تفسير سورة الانشقاق . والله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة .



قال الإمام أحمد : حدثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبي سلمة حدثنا أبو المهزم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بالسجدة البروج والساء والطارق ، وقال أحمد : حدثنا أبو سعيد مولى بني هاشم حدثنا حماد بن عباد السدوسي سمعت أبا المهزم يحدث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر أن يقرأ بالسجدة في العشاء ، تفرد به أحمد .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَسْمَاءُ ذَاتِ الْبُرُوجِ ① وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ② وَشَاهِدِ وَمَشْهُودِ ③ قِيلَ أَصْحَابُ الْأَعْدُدِ ④ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ⑤ إِذْ هُرِّعَتْهَا

فُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ  
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابٌ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ  
عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾

يقسم تعالى بالسماء وبروجها وهي النجوم العظام كما تقدم بيان ذلك في قوله تعالى : ﴿ تبارك الذي جعل في السماء  
بروجاً وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ﴾ قال ابن عباس ومجاهد والضحاك والحسن وقتادة والسدي : البروج النجوم وعن  
مجاهد أيضاً : البروج التي فيها الحرس . وقال يحيى بن رافع : البروج قصور في السماء ، وقال المنهال بن عمرو ﴿ والسماء  
ذات البروج ﴾ الخلق الحسن ، واختار ابن جرير أنها منازل الشمس والقمر وهي اثنا عشر برجاً ، تسير الشمس في كل  
واحد منها شهراً ويسير القمر في كل واحد منها يومين وثلاثاً ، فذلك ثمانية وعشرون منزلة ويستتر ليلتين .

وقوله تعالى : ﴿ واليوم الموعود وشاهد ومشهود ﴾ اختلف المفسرون في ذلك وقد قال ابن أبي حاتم : حدثنا عبد  
الله بن محمد بن عمرو الغزي ، حدثنا عبيد الله يعني ابن موسى ، حدثنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد بن صفوان بن  
أوس الأنصاري ، عن عبد الله بن رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « ﴿ واليوم الموعود ﴾ يوم  
القيامة ﴾ وشاهد ﴿ يوم الجمعة وما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد  
مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا أعطاه إياه ، ولا يستعبد فيها من شر إلا أعاده ﴾ ومشهود ﴿ يوم عرفة ﴾ وهكذا روى هذا  
الحديث ابن خزيمة من طرق عن موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف الحديث وقد روي موقوفاً على أبي هريرة وهو أشبه .

وقول الإمام أحمد : حدثنا محمد ، حدثنا شعبة ، سمعت علي بن زيد ويونس بن عبيد يحدثان عن عمار مولى بني  
هاشم عن أبي هريرة ، أما علي فرفعه إلى النبي ﷺ وأما يونس فلم يعد أباً هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿ وشاهد ومشهود ﴾  
قال يعني الشاهد يوم الجمعة ويوم مشهود يوم القيامة ، وقال أحمد أيضاً : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة عن يونس ،  
سمعت عماراً مولى بني هاشم يحدث عن أبي هريرة أنه قال في هذه الآية ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال : الشاهد يوم الجمعة  
والمشهود يوم عرفة والموعود يوم القيامة . وقد روي عن أبي هريرة أنه قال : اليوم الموعود يوم القيامة ، وكذلك قال الحسن  
وقتادة وابن زيد ولم أرهم يختلفون في ذلك والله الحمد ، ثم قال ابن جرير : حدثنا محمد بن عوف ، حدثنا محمد بن  
إسماعيل بن عياش ، حدثني أبي ، حدثنا ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال : قال رسول  
الله ﷺ ( اليوم الموعود يوم القيامة وإن الشاهد يوم الجمعة وإن المشهود يوم عرفة ويوم الجمعة ذخره الله لنا ) .

ثم قال ابن جرير : حدثنا سهل بن موسى الرازي ، حدثنا ابن أبي فديك عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب أنه  
قال : قال رسول الله ﷺ « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد والمشهود يوم عرفة » . وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن  
المسيب ، ثم قال ابن جرير : حدثنا أبو كريب ، حدثنا وكيع عن شعبة عن علي بن زيد عن يوسف المكي عن ابن عباس  
قال ، الشاهد هو محمد ﷺ والمشهود يوم القيامة ، ثم قرأ ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ وحدثنا ابن  
حميد : حدثنا جرير عن مغيرة عن شباك قال : سألت رجل الحسن بن علي عن ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال : سألت أحداً  
قبلي ؟ قال : نعم ، سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة ، فقال : لا ، ولكن الشاهد محمد ﷺ ،  
ثم قرأ ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾ والمشهود يوم القيامة ثم قرأ ﴿ ذلك يوم مجموع  
له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ .

وهكذا قال الحسن البصري وقال سفيان الثوري عن ابن حرملة عن سعيد بن المسيب : ومشهود يوم القيامة ، وقال  
مجاهد وعكرمة والضحاك : الشاهد ابن آدم ، والمشهود يوم القيامة . وعن عكرمة أيضاً : الشاهد محمد ﷺ والمشهود يوم  
الجمعة ؛ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الشاهد الله والمشهود يوم القيامة ، وقال ابن أبي حاتم . حدثنا أبي ،  
حدثنا أبو نعيم الفضل بن دكين ، حدثنا سفيان عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال :  
الشاهد الإنسان والمشهود يوم الجمعة ، هكذا رواه ابن أبي حاتم .

وقال ابن جرير : حدثنا ابن حميد ، حدثنا مهران عن سفيان عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس ﴿ وشاهد  
ومشهود ﴾ الشاهد يوم عرفة والمشهود يوم القيامة ، وبه عن سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم قال : يوم الذبح ويوم

عرفة يعني الشاهد والمشهود ، قال ابن جرير وقال آخرون : المشهود يوم الجمعة ، ورووا في ذلك ما حدثنا أحمد بن عبد الرحمن : حدثني عمي عبد الله بن وهب ، أخبرني عمرو بن الحارث عن سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أئمن عن عبادة بن نسي عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ « أكثرُوا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهد الملائكة » وعن سعيد بن جبير الشاهد الله ، وتلا ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ والمشهود نحن ، حكاة البغوي ، وقال الأکثرون على أن الشاهد يوم الجمعة والمشهود يوم عرفة .

وقوله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ أي لعن أصحاب الأخدود وجمعه أخاديد وهي الحفر في الأرض ، وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل ، فقهرهم وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم ، فأبوا عليهم فحفروا لهم في الأرض أخدوداً وأججوا فيه ناراً وأعدوا لها وقوداً يسعرونها به ، ثم أرادوهم فلم يقبلوا منهم فقتلهم فيها ولهذا قال تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ﴾ إذ هم عليها قعود \* وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود \* أي مشاهدون لما يفعل بأولئك المؤمنين . قال الله تعالى : ﴿ وما تقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ﴾ أي وما كان لهم عندهم ذنب إلا إيمانهم بالله العزيز الذي لا يضام من لاذ بجنابه المتبع الحميد في جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره ، وإن كان قد قدر على عباده هؤلاء هذا الذي وقع بهم بأيدي الكفار به فهو العزيز الحميد وإن خفي سبب ذلك على كثير من الناس .

ثم قال تعالى : ﴿ الذي له ملك السموات والأرض ﴾ من تمام الصفة أنه المالك لجميع السموات والأرض وما فيها وما بينها \* والله على كل شيء شهيد \* أي لا يغيب عنه شيء في جميع السموات والأرض ولا تخفى عليه خافية . وقد اختلف أهل التفسير في أهل هذه القصة من هم ؟ فعن علي أنهم أهل فارس حين أراد ملكهم تحليل تزويج المحارم ، فامتنع عليه علمائهم فعمد إلى حفر أخدود فقتل فيه من أنكر عليه منهم واستمر فيهم تحليل المحارم إلى اليوم . وعنه أنهم كانوا قوماً باليمن اقتتل مؤمنوهم ومشركوهم ، فغلب مؤمنوهم على كفارهم ثم اقتتلوا فغلب الكفار المؤمنين فخذوا لهم الأخاديد وأحرقوهم فيها ، وعنه أنهم كانوا من أهل الحبشة وأحدهم حبشي ، وقال العوفي عن ابن عباس ﴿ قتل أصحاب الأخدود النار ذات الوقود ﴾ قال : ناس من بني إسرائيل خدوا أخدوداً في الأرض ثم أوقدوا فيه ناراً ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالاً ونساء فعرضوا عليها ، وزعموا أنه دانيال وأصحابه وهكذا قال الضحاك بن مزاحم وقيل غير ذلك .

وقد قال الإمام أحمد : حدثنا عفان ، حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن رسول الله ﷺ قال : « كان فيمن كان قبلكم ملك وكان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك إني قد كبر سني وحضر أجلي ، فادفع إلي غلاماً لأعلمه السحر فدفع إليه غلاماً كان يعلمه السحر ، وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتى الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه ، وكان إذا أتى الساحر ضربه وقال ما حبسك وإذا أتى أهله ضربه وقالوا ما حبسك ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال إذا أراد الساحر أن يضربك فقل حبسني أهلي ، وإذا أراد أهلك أن يضربك فقل حبسني الساحر ، قال فبينما هو ذات يوم إذ أتى على دابة فظيعة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا . فقال اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجراً فقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ، ورمها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال أي بني أنت أفضل مني وإنك ستبلى ، فإن ابتليت فلا تدل علي ، فكان الغلام يبرئ الأكمة والأبرص وسائر الأدواء ويشفيهم ، وكان للملك جليس فعمي فسمع به فاتاه بهدايا كثيرة فقال اشفني ولك ما ههنا أجمع ، فقال ما أنا أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه .

ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟ فقال ربي : فقال أنا ! قال لا ، ربي وربك الله ، قال ولك رب غيري ؟ قال نعم ربي وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام ، فبعث إليه فقال أي بني بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمة والأبرص وهذه الأدواء ! قال ما أشفي أحداً إنما يشفي الله عز وجل ، قال أنا ، قال لا . قال أولئك رب غيري ؟ قال ربي وربك الله ، فأخذ أيضاً بالعذاب فلم يزل به حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال ارجع عن دينك فأبى ، فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال للأعمى : ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام : ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا وكذا وقال إذا بلغت ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فدهدهوه ، فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون ، وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر في فرور فقال إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فغرقوه في البحر فلججوا به البحر فقال الغلام :

اللهم اكفنيهم بما شئت فغفرقوا أجمعون .

وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال ما فعل أصحابك ؟ فقال كفانيهم الله تعالى ثم قال للملك : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به فإن أنت فعلت ما أمرك به قتلتي وإلا فإنك لا تستطيع قتلي ، قال وما هو ؟ قال تجمع الناس في صعيد واحد ثم تصلبي على جذع وتأخذ سهماً من كنانتي ، ثم قل : باسم الله رب الغلام فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي . ففعل ووضع السهم في كبده فوسه ثم رماه وقال : باسم الله رب الغلام ، فوقع السهم في صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات ، فقال الناس : أمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرايت ما كنت تحذر ؟ فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك ، فخذت فيها الأخاديد وأضمرت فيها النيران ، وقال : من رجع عن دينه فدعوه وإلا فأقحموه فيها ، قال فكانوا يتعادون فيها ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه ، فكانها تقاعست أن تقع في النار فقال الصبي : اصبري يا أماه فإنك على الحق .

وهكذا رواه مسلم في آخر الصحيح عن هذبة بن خالد عن حماد بن سلمة به نحوه ، ورواه النسائي عن أحمد بن سليمان عن عثمان بن حماد بن سلمة ومن طريق حماد بن زيد كلاهما عن ثابت به واخصروا أوله ، وقد جوده الإمام أبو عيسى الترمذي مرواه في تفسير هذه الصورة عن محمود بن غيلان وعبد بن حميد - المعنى واحد - قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر بن ثابت البجلي عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال : كان رسول الله ﷺ إذا صلى العصر همس والهمس في بعض قولهم تحريك شفثيه كأنه يتكلم فقيل له إنك يا رسول الله إذا صليت العصر همست ، قال : « إن نبيا من الأنبياء كان أعجب بأتمته فقال : من يقوم هؤلاء . فأوحى الله إليه أن خيرهم بين أن أنتقم منهم ، وبين أن أسلط عليهم عدوهم ، فاخترأوا النعمة ، فسلط الله عليهم الموت فمات منهم في يوم سبعون ألفاً » قال : وكان إذا حدث بهذا الحديث ، حدث بهذا الحديث الآخر قال : كان ملك من الملوك وكان لذلك الملك كاهن يتكهن له ، فقال الكاهن : انظروا لي غلاماً فيها أوقال : فطناً لقنأ فأعلمه علمي هذا ، فذكر القصة بتمامها ، وقال : في آخره يقول الله عز وجل : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ النار ذات الوقود - حتى بلغ - العزيز الحميد ﴿ .

قال : فأما الغلام فإنه دفن ، فيذكر أنه أخرج في زمان عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل ، ثم قال الترمذي : حسن غريب ، وهذا السياق ليس فيه صراحة ، إن سياق هذه القصة من كلام النبي ﷺ قال شيخنا الحافظ أبو الحجاج المزني : فيحتمل أن يكون من كلام صهيب الرومي ، فإنه كان عنده علم من أخبار النصارى والله أعلم . وقد أورد محمد بن إسحاق بن يسار هذه القصة في السيرة بسياق آخر فيها مخالفة لما تقدم فقال : حدثني يزيد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي ، وحدثني أيضاً بعض أهل نجران عن أهلها أن أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ، وكان في قرية من قرأها قريباً من نجران - ونجران هي القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد - ساحر يعلم غلمان أهل نجران السحر ، فلما نزلها فيموت ولم يسموه لي بالاسم الذي سماه ابن منه ، قالوا : نزلها رجل فابنتي خيمة بين نجران وبين تلك القرية التي فيها الساحر ، وجعل أهل نجران يرسلون غلمانهم إلى ذلك الساحر يعلمهم السحر . فبعث التامر ابنه عبد الله بن التامر مع غلمان أهل نجران ، فكان إذا مر بصاحب الخيمة أعجبه ما يرى من عبادته وصلاته فجعل يجلس إليه ويسمع منه حتى أسلم فوحد الله وعبيده ، وجعل يسأله عن شرائع الإسلام حتى إذا فقه فيه جعل يسأله عن الاسم الأعظم ، وكان يعلمه فكتمه إياه وقال له : يا ابن أخي إنك لن تحمله أخشى ضعفك عنه ، والتامر أبو عبد الله لا يظن إلا أن ابنه يختلف إلى الساحر كما يختلف الغلمان ، فلما رأى عبد الله أن صاحبه قد ضن به عنه ، وتحوف ضعفه فيه عمد إلى أقذاح فجمعها ثم لم يبق لله اسماً يعلمه إلا كتبه في قدح لكل اسم قدح ، حتى إذا أحصاها أوقد ناراً ثم جعل يقذفها فيها قدحاً ، حتى إذ مر بالاسم الأعظم قذف فيها بقدره ، فوثب القدح حتى خرج منها لم يضره شيء ، فأخذه ، ثم أتى به صاحبه فأخبره أنه قد علم الاسم الأعظم الذي قد كتبه ، فقال : وما هو ؟ قال : هو كذا وكذا ، قال : وكيف علمته ؟ فأخبره بما صنع فقال أي ابن أخي قد أصبته فأمسك على نفسك ، وما أظن أن تفعل .

فجعل عبد الله بن التامر إذا دخل نجران لم يلق أحداً به ضر إلا قال له : يا عبد الله أتوحد الله وتدخل في ديني ، وأدعو الله لك فيعافيك بما أنت فيه من البلاء ؟ فيقول نعم ، فيوحد الله ويسلم ، فيدعو الله له ، فشفي حتى لم يبق بنجران أحد به ضر إلا أتاه ، فاتبعه على أمره ودعا له ، فعوفي حتى رفع شأنه إلى ملك نجران ، فدعاه فقال له : أفسدت على أهل قريتي وخالفت ديني ودين آبائي لأمثلن بك ، قال : لا تقدر على ذلك ، قال : فجعل يرسل به إلى الجبل الطويل فيطرح على رأسه فيقع إلى الأرض ما به بأس ، وجعل يبعث به إلى مياه بنجران بحور لا يلقى فيها شيء إلا هلك فيلقى به فيها ، فيخرج ليس به بأس ، فلما غلبه قال له عبد الله بن التامر : إنك والله لا تقدر على قتلي حتى تؤمن بما آمنت به وتوحد الله ،

فإنك إن فعلت سلطت علي فقتلتي ، قال : فوجد الله ذلك الملك وشهد شهادة عبد الله بن التامر ، ثم ضربه بعصا في يده فشجته شجرة غير كبيرة فقتله ، وهلك الملك مكانه واستجمع أهل نجران على دين عبد الله بن التامر ، وكان على ما جاء به عيسى بن مريم عليه السلام من الإنجيل وحكمه ، ثم أصابهم ما أصاب أهل دينهم من الأحداث ، فمن هنالك كان أصل دين النصرانية بنجران .

قال ابن إسحاق : فهذا حديث محمد بن كعب القرظي وبعض أهل نجران عن عبد الله بن التامر فإله أعلم أي ذلك كان ، قال فسار إليهم ذو نواس بجنده فدعاهم إلى اليهودية وخبرهم بين ذلك أو القتل فاخترأوا القتل ، فخذ الأخدود فحرق بالنار وقتل بالسيف ، ومثل بهم حتى قتل منهم قريبا من عشرين ألفاً ، ففي ذي نواس وجنده أنزل الله عز وجل على رسوله ﷺ ﴿ قتل أصحاب الأخدود ، النار ذات الوقود ، إذ هم عليها قعود ، وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود ، وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد ، الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ هكذا ذكر محمد بن إسحاق في السيرة أن الذي قتل أصحاب الأخدود هو ذو نواس واسمه زرعة ، ويسمى في زمان مملكتك بيوسف ، وهو ابن بيان أسعد أبي كريب وهو تبع الذي غزا المدينة وكسب الكعبة واستصحب معه حبرين من يهود المدينة ، فكان يهود من تهرد من أهل اليمن على يديهما كما ذكره ابن إسحاق مسبوفاً ، فقتل ذو نواس في غداة واحدة في الأخدود عشرين ألفاً ولم ينج منهم سوى رجل واحد يقال له دوس ذو ثعلبان ، ذهب فارساً وطردوا وراءه فلم يقدروا عليه فذهب إلى قيصر ملك الشام فكتب إلى النجاشي ملك الحبشة ، فأرسل معه جيشاً من نصارى الحبشة يقدمهم أرباط وأبرهة فاستنقذوا اليمن من أيدي اليهود ، وذهب ذو نواس هارباً فلجج في البحر فغرق ، واستمر ملك الحبشة في أيدي النصارى سبعين سنة ، ثم استنقذه سيف بن ذي يزن الحميري من أيدي النصارى لما استجاش بكسرى ملك الفرس ، فأرسل معه من في السجون فكانوا قريبا من سبعمائة ، ففتح بهم اليمن ورجع الملك إلى حمير ، وسنذكر طرفاً من ذلك إن شاء الله في تفسير سورة ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ﴾

وقال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أنه حدث أن رجلاً من أهل نجران كان في زمان عمر بن الخطاب حفر خربة من خرب نجران لبعض حاجته ، فوجد عبد الله بن التامر تحت دفن فيها قاعداً واضعاً يده على ضربة في رأسه ممسكاً عليها بيده ، فإذا أخذت يده عنها تنبعث دماً ، وإذا أرسلت يده ردت عليها فأمسكت دمها وفي يده خاتم مكتوب فيه رب الله ، فكتب فيه إلى عمر بن الخطاب يخبره بأمره فكتب عمر إليهم أن أفروه على حاله وردوا عليه الذي كان عليه ففعلوا .

وقد قال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا رحمه الله : حدثنا أبو بلال الأشعري ، حدثنا إبراهيم بن محمد عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، حدثني بعض أهل العلم أن أبا موسى لما افتتح أصبهان وجد حائطاً من حيطان المدينة قد سقط ، فبناه فسقط ثم بناه فسقط ، فقيل له : إن تحتها رجلاً صالحاً ؛ فحفر الأساس فوجد فيه رجلاً قائماً معه سيف فيه مكتوب : أنا الحارث بن مضاض نعمت على أصحاب الأخدود ، فاستخرجه أبو موسى وبني الحائط فثبت . (قلت) : هو الحارث بن مضاض بن عمرو بن مضاض الجرهمي ، أحد ملوك جرهم الذين ولوا أمر الكعبة بعد ولد ثابت بن إسماعيل بن إبراهيم ، وولد الحارث هذا هو عمرو بن الحارث بن مضاض هو آخر ملوك جرهم بمكة لما أخرجتهم خزاعة وأجلوهم إلى اليمن ، وهو القائل في شعره الذي قال ابن هشام إنه أول شعر قالته العرب :

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر  
بس نحن كنا أهلها فأبادنا صروف السليالي والجدود العوائر

وهذا يقتضي أن هذه القصة كانت قديماً بعد زمان إسماعيل عليه السلام بقرب من خمسمائة سنة أو نحوها ، وما ذكره ابن إسحاق يقتضي أن قصتهم كانت في زمن الفترة التي بين عيسى ومحمد عليهما من الله السلام وهو أشبه ، والله أعلم . وقد يحتمل أن ذلك قد وقع في العالم كثيراً كما قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو اليان ، أخبرنا صفوان عن عبد الرحمن بن جبيرة قال : كانت الأخدود في اليمن زمان تبع وفي القسطنطينية زمان قسطنطين حين صرف النصارى قبلتهم عن دين المسيح والتوحيد ، فاتخذوا أتوناً وألقى فيه النصارى الذين كانوا على دين المسيح والتوحيد ، وفي العراق في أرض بابل بختنصر الذي صنع الصنم وأمر الناس أن يسجدوا له ، فامتنع دانيال وصاحبه عزريا وميشائيل فأوقد لهم أتوناً وألقى فيه الحطب والنار ثم ألقاهما فيه ، فجعلها الله تعالى عليها برداً وسلاماً وأنقذهما منها وألقى فيها الذين بغوا عليه ، وهم تسعة رهط فأكلتهم النار .

وقال أسباط عن السدي في قوله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ قال : كانت الأخدود ثلاثة : خد بالعراق ،

وخذ بالشام ، وخذ باليمن . رواه ابن أبي حاتم ، وعن مقاتل قال : كانت الأخدود ثلاثة : واحدة بنجران باليمن والأخرى بالشام والأخرى بفارس حرقوا بالنار ، أما التي بالشام فهو انطنانوس الرومي ، وأما التي بفارس فهو يختصر ، وأما التي بأرض العرب فهو يوسف ذو نواس ، فأما التي بفارس والشام فلم ينزل الله تعالى فيها قرآناً وأنزل في التي كانت بنجران ، وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا أحمد بن عبد الرحمن الدشتكي ، حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه ، عن الربيع هو ابن أنس في قوله تعالى : ﴿ قتل أصحاب الأخدود ﴾ قال : سمعنا أنهم كانوا قوماً في زمان الفترة ، فلما رأوا ما وقع في الناس من الفتنة والشر وصاروا أحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون ، اعتزلوا إلى قرية سكنوها وأقاموا على عبادة الله مخلصين له الدين حنفاء ، وقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فكان هذا أمرهم حتى سمع بهم جبار من الجبارين وحدث حديثهم فأرسل إليهم فأمرهم أن يعبدوا الأوثان التي اتخذوا ، وأنهم أبوا عليه كلهم وقالوا لا نعبد إلا الله وحده لا شريك له ، فقال لهم : إن لم تعبدوا هذه الآلهة التي عبدت فإني قاتلكم ، فأبوا عليه فخذ أخدوداً من نار وقال لهم الجبار وقفهم عليها : اختاروا هذه أو الذي نحن فيه ، فقالوا : هذه أحب إلينا ، وفيهم نساء وذرية ففزعت الذرية ؛ فقالوا لهم أي أبؤهم لا نار من بعد اليوم فوقعوا فيها ، فقبضت أرواحهم من قبل أن يسهم حرها وخرجت النار من مكانها فأحاطت بالجبارين فأحرقهم الله بها ففي ذلك أنزل الله عز وجل : ﴿ قتل أصحاب الأخدود \* النار ذات الوقود \* إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود \* وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد \* الذي له ملك السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾ ورواه ابن جرير : حدثت عن عمار عن عبد الله بن أبي جعفر به نحوه . وقوله تعالى : ﴿ إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ﴾ أي حرقوا ، قاله ابن عباس ومجاهد وقناة والضحاك وابن أزيي ﴿ ثم لم يتوبوا ﴾ أي لم يقلعوا عما فعلوا ويندموا على ما أسلفوا ﴿ فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق ﴾ وذلك أن الجزاء من جنس العمل ؛ قال الحسن البصري : انظروا إلى هذا الكرم والجود قتلوا أوليائه وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة .

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ بَدِئُ وَيَعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أُنْتُكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنُ وَثَمُودُ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قَوْلُ الْبَغِيضِ ﴿٢١﴾ فِي لُوحٍ مَحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾

يخبر تعالى عن عباده المؤمنين أن ﴿ لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ بخلاف ما أعد لأعدائه من الحريق والجحيم ، ولهذا قال ﴿ ذلك الفوز الكبير ﴾ ثم قال تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي إن بطشه وانتقامه من أعدائه الذين كذبوا رسله وخالفوا أمره لشديد عظيم قوي ، فإنه تعالى ذو القوة المتين الذي ما شاء كان كما يشاء في مثل لمح البصر أو هو أقرب ، ولهذا قال تعالى : ﴿ إنه هو بديء ويعيد ﴾ أي من قوته وقدرته التامة بيده الخلق ويعيده كما بدأه بلا ممانع ولا مدافع ﴿ وهو الغفور الودود ﴾ أي يغفر ذنب من تاب إليه وخضع لديه ولو كان الذنب من أي شيء كان ، والودود قال ابن عباس وغيره : هو الحبيب ﴿ ذو العرش ﴾ أي صاحب العرش العظيم العالي على جميع الخلائق ، والمجيد فيه قراءتان : الرفع على أنه صفة للرب عز وجل ، والجر على أنه صفة للعرش وكلاهما معنى صحيح ﴿ فعال لما يريد ﴾ أي مهما أراد فعله لا معقب لحكمه ولا يسأل عما يفعل لعظمته وقهره وحكمته وعدله كما روينا عن أبي بكر الصديق أنه قيل له وهو في مرض الموت : هل نظر إليك الطيب ؟ قال : نعم . قالوا فما قال لك ؟ قال : قال لي إني فعال لما أريد .

وقوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث الجنود \* فرعون وثمود ﴾ أي هل بلغك ما أحل الله بهم من البأس وأنزل عليهم من النعمة التي لم يردوا عنهم أحد ؟ وهذا تقرير لقوله تعالى : ﴿ إن بطش ربك لشديد ﴾ أي إذا أخذ الظالم أخذه أخذاً أليماً شديداً أخذ عزيز مقتدر قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا علي بن محمد الطنافسي حدثنا أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون قال : مر النبي ﷺ على امرأة تقرأ ﴿ هل أتاك حديث الجنود ﴾ فقام يستمع فقال « نعم قد جاءني » وقوله تعالى : ﴿ بل الذين كفروا في تكذيب ﴾ أي هم في شك وريب وكفر وعناد ﴿ والله من ورائهم محيط ﴾ أي

هو قادر عليهم قاهر لا يفوته ولا يعجزونه ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ أي عظيم كريم ﴿ في لوح محفوظ ﴾ أي هو في الملأ الأعلى محفوظ من الزيادة والنقص والتحريف والتبديل .

قال ابن جرير : حدثنا عمرو بن علي ، حدثنا قرة بن سليمان ، حدثنا حرب بن شريح ، حدثنا عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك في قوله تعالى : ﴿ بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ ﴾ قال : إن اللوح المحفوظ الذي ذكر الله ﴿ بل هو قرآن مجيد ﴾ في لوح محفوظ ﴿ في جبهة إسرئيل . وقال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي ، حدثنا أبو صالح ، ثنا معاوية بن صالح أن أبا الأعبس هو عبد الرحمن بن سلمان قال : ما من شيء قضى الله : القرآن ، فما قبله وما بعده إلا وهو في اللوح المحفوظ ، واللوح المحفوظ بين عيني إسرئيل لا يؤذن له بالنظر فيه ، وقال الحسن البصري : إن هذا القرآن المجيد عند الله في لوح محفوظ ينزل منه ما يشاء على من يشاء من خلقه ، وقد روى البغوي من طريق إسحاق بن بشر : أخبرني مقاتل وابن جريج عن مجاهد عن ابن عباس قال : إن في صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ، دينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله ، فمن آمن بالله وصدق بوعده واتبع رسله أدخله الجنة ، قال : واللوح لوح من درة بيضاء طوله ما بين السماء والأرض ، وعرضه ما بين المشرق والمغرب ، وحافته من الدر والياقوت ، ودفتاه ياقوتة حمراء ، وقلمه نور ، وكلامه معقود بالعرش ، وأصله في حجر ملك .

وقال مقاتل : اللوح المحفوظ عن يمين العرش ، وقال الطبراني : حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة ، حدثنا منجاب بن الحارث ، حدثنا إبراهيم بن يوسف ، حدثنا زياد بن عبد الله عن ليث عن عبد الملك بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء صفحاتها من ياقوتة حمراء ، قلمه نور ، وكتابه نور ، لله فيه في كل يوم ستون وثلاثمائة لحظة ، يخلق ويرزق ويميت ويحيي ويعز ويذل ويفعل ما يشاء » آخر تفسير سورة البروج ، والله الحمد والمنة .

## سُورَةُ الطَّارِقِ

قال عبد الله ابن الإمام أحمد : حدثنا أبي ، حدثنا عبد الله بن محمد قال عبد الله وسمعتة أنا منه ، حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن عبد الله بن عبد الرحمن الطائفي عن عبد الرحمن بن خالد بن أبي جبل العدواني ، عن أبيه أنه أبصر رسول الله ﷺ في مشرق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم بيتي عندهم النصر فسمعتة يقول « والساء والطارق » حتى ختمها قال : فوعيتها في الجاهلية وأنا مشرك ، ثم قرأتها في الإسلام قال : فدعتني ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ؟ فقراءتها عليهم فقال من معهم من قريش ، نحن أعلم بصاحبنا لو كنا نعلم ما يقول حقاً لا تبعناه ، وقال النسائي : حدثنا عمرو بن منصور ، حدثنا أبو نعيم عن مسعر عن محارب بن دثار عن جابر قال : صلى معاذ المغرب فقرأ البقرة والساء فقال النبي ﷺ « أفتان أنت يامعاذ ! ما كان يكفيك أن تقرأ بالساء والطارق والشمس وضحاها ونحوها ؟ » .

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ مَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ نَجْمٌ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَتْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ لِيَنْظُرَ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَّ رَجِيهَ لِمَقَادِرِ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ مَا لَمْ يَنْفُذْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

يقسم تبارك وتعالى بالساء وما جعل فيها من الكواكب النيرة ولهذا قال تعالى : ﴿ والساء الطارق ﴾ ثم قال ﴿ وما